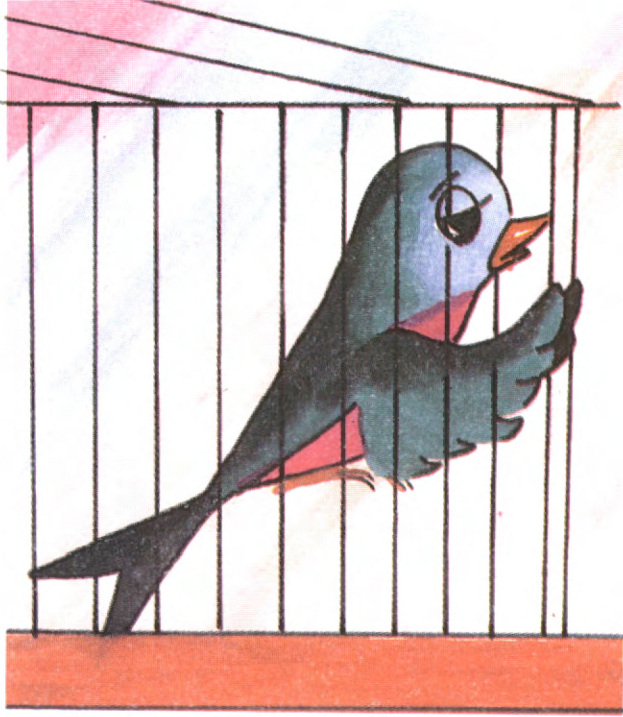


يحيى أن

(٢٥)



العصفور

ترسمها: منال بدران

يحييها: طارق سعد



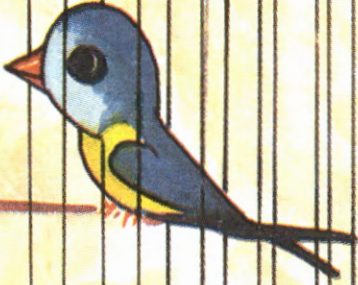
دارالمعارف

تصميم الغلاف : عزيزة مختار

دَخَلَتِ الصَّغِيرَةُ «إِلْهَامُ» شُرْفَةَ غُرْفَتِهَا الَّتِي تُطِلُّ عَلَى الْحَدِيقَةِ ، وَرَفَعَتْ
نَظَرَهَا إِلَى أَعْلَى ، حَيْثُ يُوجَدُ عَصْفُورٌ صَغِيرٌ فِي قَفْصٍ مُعَلَّقٍ عَلَى أَحَدِ حَوَائِطِ
الشُّرْفَةِ .. قَالَتْ : (إِلْهَامُ) وَهِيَ تَبْتَسِمُ :

- كَيْفَ حَالُكَ يَا عَصْفُورِي الْجَمِيلِ «بُلْبُلُ»؟

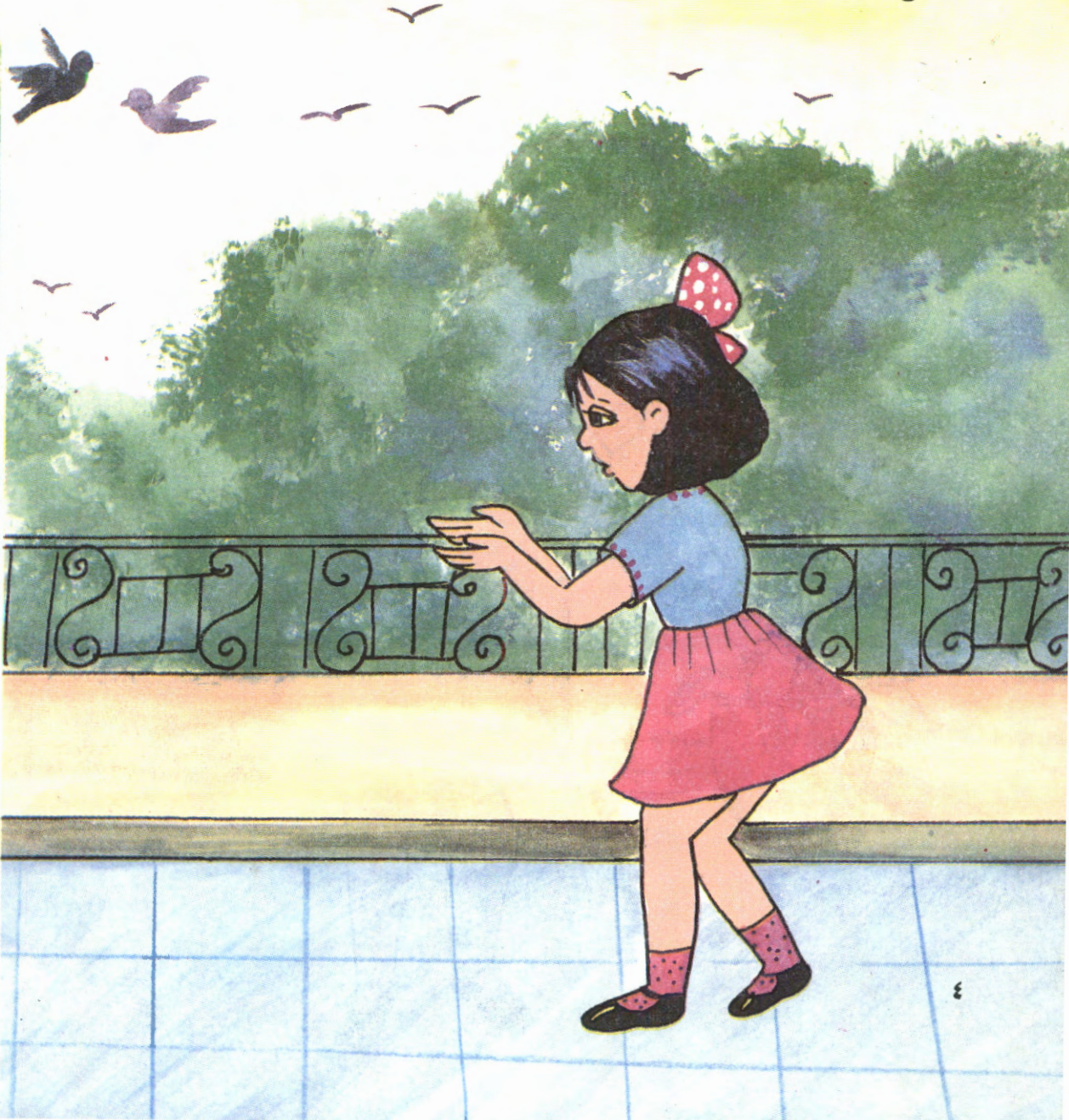
- لَمْ يَلْتَفِتِ الْعَصْفُورُ إِلَيْهَا .. وَانْكَمَشَ
فِي الرُّكْنِ الْبَعِيدِ مِنَ الْقَفْصِ .



داعبته «إلهام» فى رقّة ، وقالت بلهجة مَرحة :

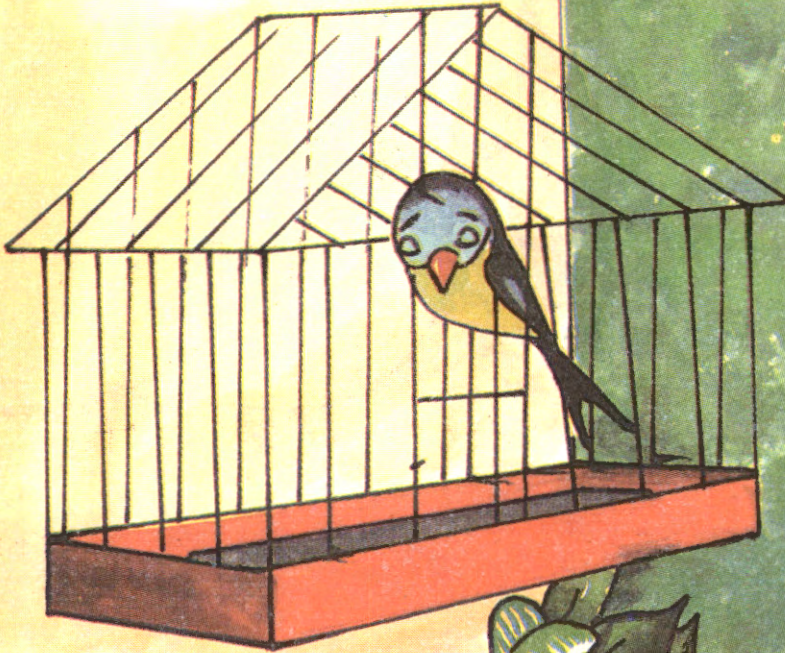
هيا يا «بُلبُل» غرّد يا عُصفورى الجميل .. أين الحانك الرائعة ؟ أريد أن
أسمع صوتك ، فهيا زقزق ولو مرة واحدة ..

لم تظهر أية استجابة من العُصفور «بُلبُل» .. وظلّ كما هو ، مُنكمشا
فى حُزن .



أشارت « إلهام » إلى شجرة كبيرة في حديقة المنزل ، وقالت : أنظر !!
كل العصافير تزقزق وتغرّد في سعادة ما عدا أنت ! .. إن أمرك عجيب يدعوك

للحزن والأسى ! فكلما نظرت إليك شعرت
بأنك في غاية الحزن لوجودك معي !



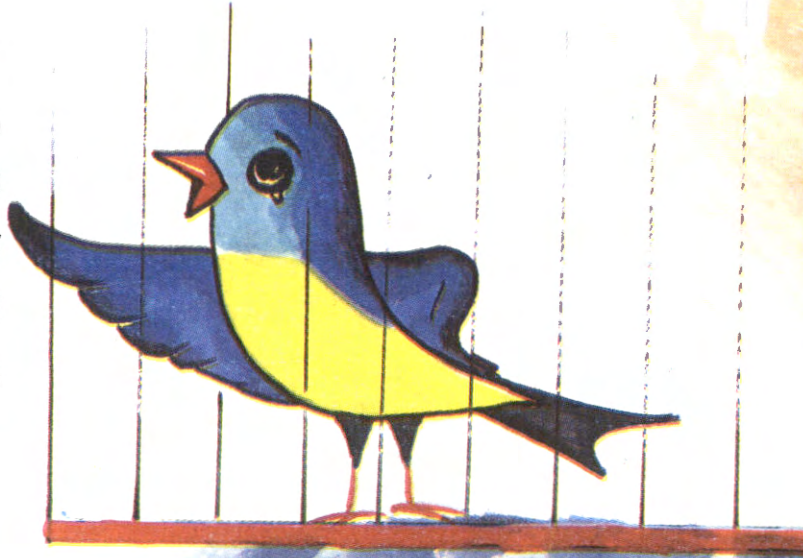
اكتفى العصفور بالنظر
نحو الشجرة بأسى..



شعرتُ «إلهامُ» بالضيق والغضب ، فتركتهُ وعادتُ إلى عُرفتِها ..
وقالتُ وهي تغلقُ بابَ الشُّرفة: إنه يرفضُ الاستجابةَ لي! حسناً ، هُوَ حُرٌّ !
توقفتُ «إلهامُ» لحظةً ، وفكرتُ وهي تُرددُ الكلمةَ الأخيرةَ: «حُرٌّ» ..

وقالتُ لنفسها بعنادٍ :

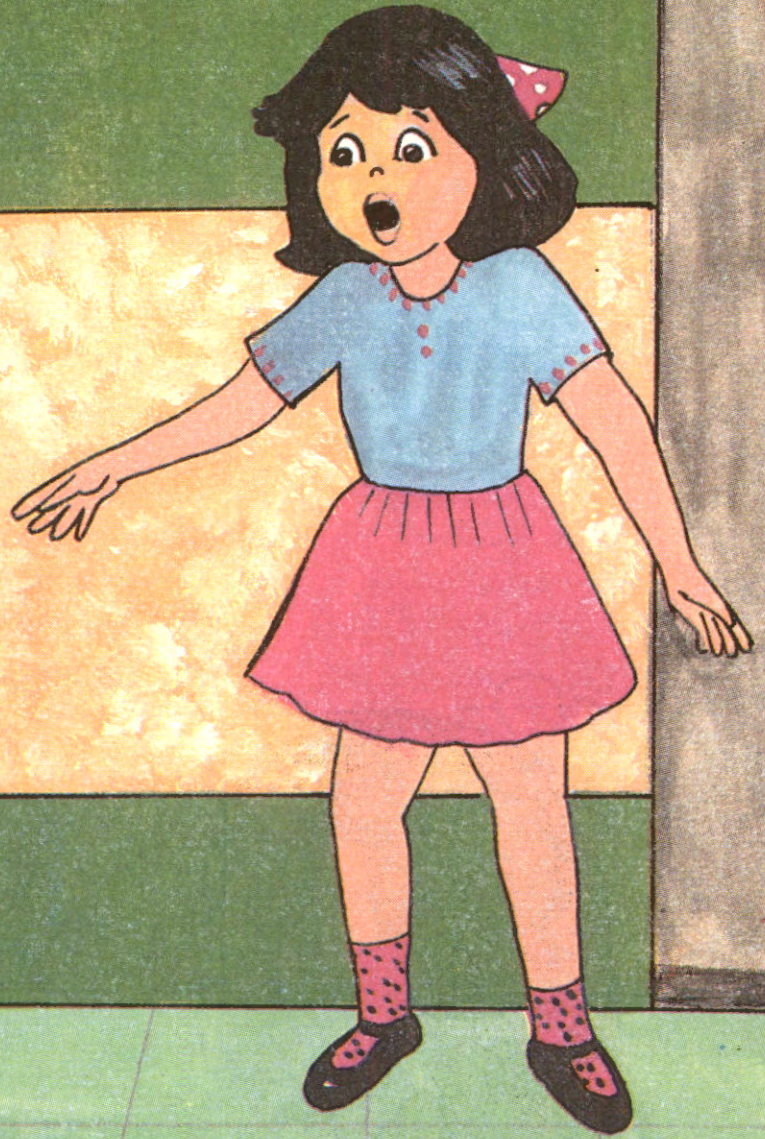
«- ولكنَّهُ ملكي أنا ،
وَمِنْ حَقِّي أن أسمعَ
تغريدَهُ الجميلَ حتَّى لو
كانَ محبوباً في قَفَصٍ ،
أو في صُنْدُوقٍ مِّنَ
الحديدِ !



« صُنْدُوقُ مِنَ الْحَدِيدِ ! »

يَبْدُو أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ تُوحِي لِصَدِيقَتِنَا بِشَيْءٍ مُخِيفٍ ، فَمَا إِنْ نَطَقَتْ بِهَا
حَتَّى شَعَرَتْ بِأَنَّ قَلْبَهَا يَدُقُّ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَبِأَنَّهَا مُضْطَرَبَةٌ بِشِدَّةٍ ..
فَتَجَمَّدَتْ مَكَانَهَا وَهِيَ تَنْظُرُ لِأَعْلَى بِشُرُودٍ .





لقد تذكّرتُ « إلهامُ » تلكَ اللحظاتِ المُرعبةَ التي قَضَتْها محبوسةً وحْدَهَا
في المَصْعَدِ الكهربائيِّ ، عندما تعطلَّ بها في مُنتصفِ المسافةِ ، فلا هو يَصْعَدُ
أو يهبطُ ، ولم يكنْ بإمكانِها الخروجُ إلّا بعدَ عَوْدَةِ التيارِ الكهربائيِّ ..
وتذكّرتُ أنها أخذتْ تبكي وتصرخُ ، حتّى تَمَّ إنقاذُها وهىَ في حالةٍ سيّئةٍ
جداً !



قالت « إلهام » ، وهى ما زالت مُضْطَرَبَةً: لقد كانت لحظات مُرْعِبَةٍ .. ما أسوأ أن نشعر بأننا فى عَزْلَةٍ وَوَحْدَةٍ .. بَعِيدُونَ عَمَّنْ نُحِبُّ .. لا أَحَدٌ . يستجيبُ لَصَرَخَاتِنَا ، ولا نَدْرِى ما يمكن أن يَحْدُثَ لَنَا ! وابتسمت وهى تهمسُ لِنَفْسِهَا : يَا إِلَهِي ! ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ مَرَّتْ ومازلتُ أَفْزَعُ مِنْ تِلْكَ الذِّكْرَى المؤْلَمَةِ ! وخرجتُ إلى الشَّرْفَةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وابتسمتُ لِلْعُصْفُورِ الحزينِ .

وقالت برقّة :

- تصبحُ على خيرٍ يا عُصفوري الجميل « بُلْبُل » .. سَوْفَ أَنَامُ الْآنَ .
ثم عَادَتْ إلى فِرَاشِهَا وحاولتْ أَنْ تَنَامَ ، وَلَكِنَّهَا لم تَسْتَطِعْ أَنْ تَنَامَ
بسهولة ، بل نَامَتْ بعد مَا غلبَهَا الإِرْهَاقُ والتفكير ، فى « بُلْبُل » ، وفى
حَادِثِ المصعد ..

.. وفى نَوْمِهَا ، رَأَتْ «إِلْهَامُ» أَغْرَبَ حُلْمٍ فى حَيَاتِهَا ..

.. لقد زَارَهَا العُصفورُ « بُلْبُل » فى
المنام ، ودارَ بَيْنَهُمَا حِوَارٌ طَوِيلٌ ..



بَكَى الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ « بُلْبُل » ، وَقَالَ مُتَوَسِّلًا بِصَوْتِ حَزِينٍ :
- أَرْجُوكِ يَا صَدِيقَتِي الطَّيِّبَةِ .. دَعِينِي أَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْقَفَصِ الصَّغِيرِ .
إِنَّنِي أَشْعُرُ بِالْحُزْنِ وَالْمَلَلِ .

قَالَتْ «إِلْهَامُ» بِلَهْجَةٍ رَافِضَةٍ: أَتُرِيدُ أَنْ أَطْلُقَ سَرَاحَكَ ؟ ! إِنَّ ذَلِكَ
مُسْتَحِيلٌ .

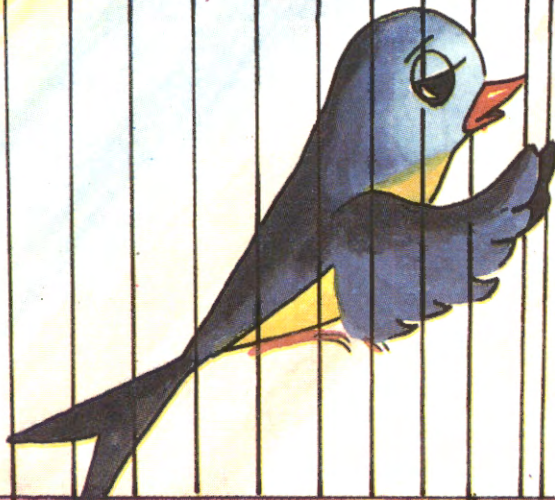
صَرَخَ « بُلْبُل » بدهشة:

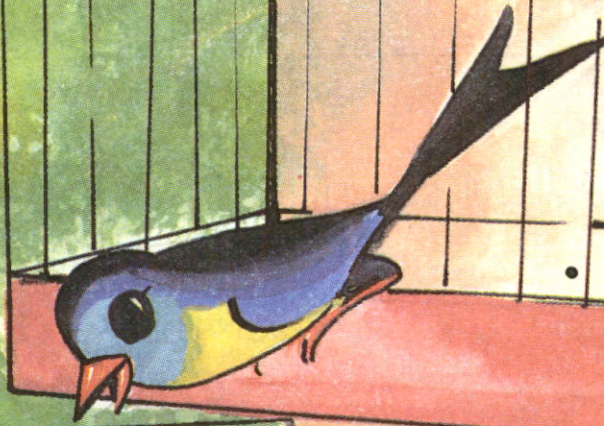
- ولماذا تحبسيني ؟ بماذا يفيدك ذلك ؟ حرامٌ عَلَيْكِ .. حَرَام !
- وَلَكِنِّي أَحِبُّكِ .. وَأُرِيدُ أَنْ أَحْتَفِظَ بِكَ .. ثُمَّ إِنَّكَ أَتَيْتَ إِلَى بِنَفْسِكَ ..
هتَفَ «بُلْبُلُ»: بَلْ دَفَعْتَنِي الْعَوَاصِفُ الشَّدِيدَةُ وَالْقَتْنَى فِي شُرْفَتِكَ ، بَعْدَمَا
أَطَاحَتْ بَعْشَنًا .. وَأَنَا الْآنَ أَحْلُمُ بِالْعُودَةِ إِلَى أَسْرَتِي .

قَالَتْ «إِلْهَامُ» فِي مُحَاوَلَةٍ لِإِقْنَاعِهِ :

- يَا صَدِيقِي . إِنَّنِي أَوْفَّرُ
لَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ،
وَأَرْعَاكَ ، وَأَتَوَلَّى تَنْظِيفَ
قَفَصِكَ بِنَفْسِي .

- وَلَكِنْ فِي النَّهَايَةِ هُوَ
سَجْنٌ لِي ! سَوْفَ أَمْتَنَعُ عَنْ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى
الموت .. فَالْحَرِيَّةُ عِنْدِي أَهَمُّ
مِنَ الْحَيَاةِ نَفْسِهَا !





وَأَنهَمِرَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيَّ «بُلْبُلُ» وَهُوَ يَسْأَلُهَا:
يَا صَدِيقَتِي الطَّيِّبَةُ . هَلْ تُرِيدِينَ أَنْ أَمُوتَ ؟
وَبَكَتْ (إِلْهَامُ) وَهِيَ تَسْأَلُهُ ، فِي مُحَاوَلَةٍ
أَخِيرَةٍ لِلتَّأْثِيرِ عَلَيْهِ :

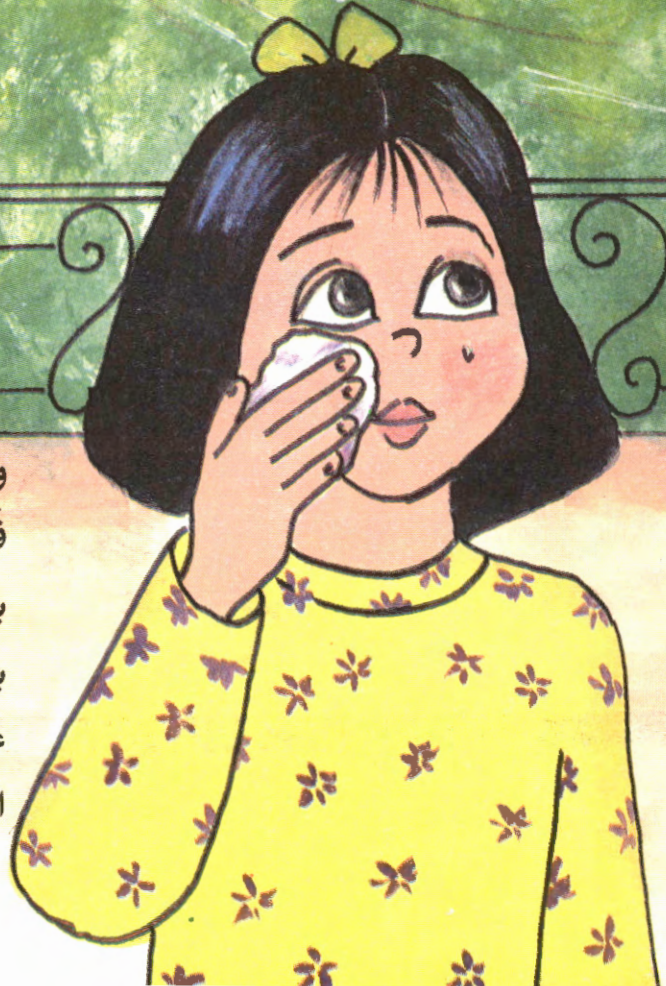
- أَلَا تَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَتَعَبُ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْغِذَاءِ وَالْمَكَانِ الْآمِنِ ؟ ! ثُمَّ إِنَّكَ لَنْ
تَجِدَ بِسَهُولَةٍ أَصْدِقَاءَ يُحِبُّونَكَ مِثْلِي !

وصممت «إِلْهَامُ» بَعْدَ أَنْ نَظَرَتْ إِلَى عَيْنَيَّ «بُلْبُلُ» الْمَمْلُؤَتَيْنِ بِالتَّوَسُّلِ
وَالرَّجَاءِ ، وَأَخِيرًا مَسَحَتْ «إِلْهَامُ» دُمُوعَهَا الْمُنْسَابَةَ عَلَى خَدَّيْهَا ، وَفِي
صَمْتٍ فَتَحَتْ بَابَ الْقَفْصِ وَهِيَ تَقُولُ بِصُعُوبَةٍ : تَفَضَّلْ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْفَضَاءِ
الْوَاسِعِ الرَّحْبِ !! مَعَ السَّلَامَةِ !! وَأَضَافَتْ بِبَرَاءَةٍ : سَوْفَ تَنْدُمُ !

ونظرَ إليها « بُلبل » في ودٍّ وحُبٍّ ، وقالَ :
- يا صَدِيقَتِي . إنني أَحبُّكَ أيضًا ، ولكنَّ حُرِّيَّتِي هي حُبِّي الأَكْبَرُ .
وطارَ في لمحِ البصرِ .
واستيقظتْ « إلهامُ » فكانَ أوَّلَ ما فعلتهِ أنها أسرعَتْ إلى العُصفورِ « بُلبل »



وفتحتْ له بابَ القفصِ ،
فأَنطلقَ نحوَ السَّمَاءِ في سَعَادَةٍ
بالِغَةِ .. وشعرتْ صَدِيقَتُنَا
بارتياحٍ شَدِيدٍ ، وبرضاءٍ تامٍّ
عَن نَفْسِهَا ، بِرَغَمِ حُزْنِهَا
الكَبِيرِ لفراقِ « بُلبل » ..

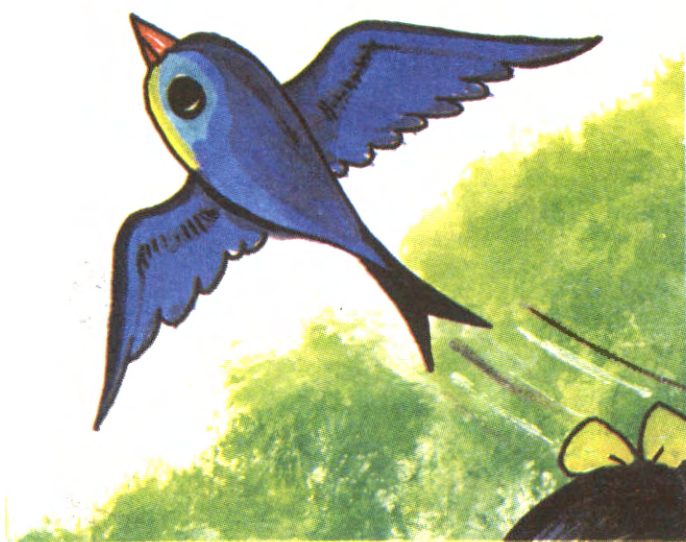


وفى صَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي فُوجِئَتْ «إِلْهَامُ» بِنَقَرَاتٍ خَفِيفَةٍ عَلَى زُجَاجِ شُرْفَتِهَا ، فَقَامَتْ بِسُرْعَةٍ لَتَرَى مَا الْأَمْرُ .. وفُوجِئَتْ بِـ « بُلْبُل » مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ..

نَظَرَ الثَّلَاثَةُ إِلَيْهَا بِحُبٍّ شَدِيدٍ وَعِرفَانٍ بِالْجَمِيلِ . وَرَفَرَفَتِ الْعَصَافِيرُ حَوْلَهَا وَهِيَ تَلْتَقِطُ الطَّعَامَ مِنْ يَدَيْهَا الصَّغِيرَتَيْنِ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَدْرَكَتْ «إِلْهَامُ» مَعَانِيَ جَدِيدَةً ، وَعَظِيمَةً .. لِلْحُبِّ ، وَالسَّعَادَةِ ، وَالْحُرِّيَّةِ .





١٩٩٩/١٠٢٨٦	رقم الإيداع
ISBN 977-02-5864-4	الترقيم الدولي

٧/٩٩/٥٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)